المكاييل والموازين والمقاييس واثارها في ضبط التعاملات في الاقتصاد الإسلامي

Weighs, Measures, and Standards and Their Impact on Regulating Transactions in the Islamic Economy

أعداد

أ.د. عزيز إسماعيل محمد العزي

م.د. طارق خضير عباس العنزي

Prepared by

Prof. Aziz Ismail Mohammed Al-Azzi

Dr. Tariq Khadir Abbas Al-Anzi

ملخص البحث

تعود اهمية دراسة ماهية المكاييل، والموازين، والمقاييس، وضرورة ضبطها وعدم الاخلال بها، كونها تمس حياة الناس وتعاملاتهم، التجارية، والاجتماعية والاقتصادية، وحركة البيع والشراء، وقد اهتمت الشعوب والمجتمعات قديماً، بالأوزان، وجاءت الشرائع السماوية لتؤكد تلك الاهمية، وتحذر من عواقب التلاعب بالموازين والتطفيف، والتنقيص بالمكيال، وهناك امم دعتهم انبياءهم الى عدم بخس حقوق الناس، وعدم الظلم، وانذرتهم، واليوم في واقعنا، اصبحت اكثر اهمية، لان الاخلال بها يؤدي الى الاضرار بالفرد، والمجتمع وينتشر الظلم، والغش، والخيانة، واكل اموال الناس بالباطل.

Research Summary:

The importance of studying the nature of measures, weights, and standards, and the necessity of controlling them and preventing their violation, stems from the fact that they affect people's lives and their commercial, social, and economic dealings, as well as the movement of buying and selling. Peoples and societies have long been concerned with weights, and divine laws have emphasized this importance and warned against the consequences of tampering with scales, cheating, and underestimating measures. There are nations whose prophets called upon them not to diminish people's rights and to refrain from injustice, and warned them against it. Today, in our reality, this has become even more important, because violating them leads to harm to the individual and society, and leads to the spread of injustice, fraud, betrayal, and the unlawful consumption of people's wealth.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} الاسراء ٣٥.

يعتبر العدل في البيع والشراء اساس اقتصادي في الحياة فقد جاءت الشرائع السماوية مهتمةً به، وجعلته مطلباً من المطالب الايمانية التي أمر الله تعالى بها الناس، حتى لا يتفشى الظلم والبخس في الحقوق بين البشر، على أن تلك التعاليم والاوامر جاءت مرافقة لرسالات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ودعوتهم الى التوحيد.

فنجد أن للمكيال والميزان وضبطهما اثرٌ كبيرٌ في حياتنا الاقتصادية ، فهي ليست خواطر إيمانية تدور في فلك حياة الناس ،بل منهج رباني لإصلاح علاقة الانسان بربه سبحانه وتعالى وعلاقة الانسان بالإنسان، وعلاقة الشعوب مع الشعوب، حتى تستقيم السبل المعاشية في المجتمع، وإلا كانت الفوضى واكل الحقوق، قال الله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}(١)، وقوله تعالى : { أَوْفُواْ الكيل وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ المخسرين وَزِنُواْ بالقسطاس المستقيم وَلاَ تَبْخَسُواْ الناس أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأرض مفسدين}(٢).

ففساد الارض بعد إصلاحها، مرتبط بإقامة الميزان، بنص الآيات السابقة، وكذلك ارتبطت المكاييل، والموازين بالواجبات، والفرائض، التي فرضها الله تعالى على المسلم، كالزكاة، والعقود، والمعاملات، والكفارات، ولكي يتمكن المسلم من أداء واجبه الديني على أتم وجه، فقد حرصت الشريعة الاسلامية الغراء، على وضع الضوابط لتلك الاوزان، وقد جاء هذا البحث لبيان أثار تلك المكاييل، والاوزان، على ضبط التعاملات، مسترشدين بالنصوص الشرعية، وقصص القران، واقوال الفقهاء.. سائلين المولى عزوجل التوفيق والتيسير.

وقد تم تقسيم البحث الى مبحثين:

المبحث الاول: التعريفات وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الاول: تعريف المكاييل والموازين ونحوها.

المطلب الثاني: نبذة تاريخية عن المكاييل والموازين ونحوها

المطلب الثالث: المكاييل والموازين في المنظور الشرعي.
المبحث الثاني: ويتضمن
المطلب الاول: حاجة المجتمع الى ضبط الاوزان
المطلب الثاني: مقاصد الشريعة في ضبط المكاييل والموازين
ثم النتائج.
ونسأل الله التوفيق والسداد انه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الاول
التعريفات

تمهيد:

قبل الشروع في بيان أثر المكاييل، والموازين في حياة الناس، لابد من التعريف بماهية تلك الاوزان، واشارة القران الكريم لها وكما يأتي:

المطلب الاول: تعريف المكاييل، والموازين، ونحوها.

اولا: المكاييل لغةً، جمع مكيال وهو ما يكال به من حديد أو خشب (٣).

وفي الاصطلاح، هو كيل الاشياء بحجومها (٤).

وقد تعامل الناس قديماً بالمكاييل وهي كثيرة، وقد تتميز باختلاف مقاديرها، وتتغير بتغير الزمان، واختلاف المكان، وحسب نظام الكيل في اي بلد.

وهناك مكاييل شرعية، ترتبط بأحكام العبادات، مثل الصاع، والمُد، لقياس الصدقات، والكفارات، والفدية، وغيرها، ومكاييل عُرفية قابلة للتغيير حسب عُرف البلد، والمكان الذي تُستخدم فيه، وحسب حاجة البلد.

وغالباً ما تكون هذه المكاييل مصنوعة من الخشب، وهكذا كان المكيال النبوي، وهناك مكاييل تُصنع من المعدن، وذلك باستخدام الصفائح المعدنية من النحاس، كما وجدت مكاييل في مصر صُنعت من الفخار، وبأحجام مختلفة، وتختم بإسم البلد التي صنعت فيه، تُحمل فيها الضرائب العينية.

كما وجدت مكاييل مصنوعة من الزجاج، في متحف الفن الاسلامي في القاهرة، كانت تُستخدم لتحديد قيمة زيت الطعام. (٥)

ثانياً: أصناف المكاييل.

ذكر ابو عبيد في كتاب الاموال قال: وجدنا الاثار قد نقلت من النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه والتابعين بعدهم ثمانية اصناف من المكاييل، وهي:

الصاع، والُمد، والفرق، والقِسط، والمُدْى، والمختوم، والغفير، والمَكُّوك إلا ان عُظم ذلك في المُد، والصاع. (٦)

والمُدّ: كيل وهو مقدار ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما، وهو عند الحنفية، رطلان بالعراقي اي ما يعادل ٨١٢ر٥ غرام.

وعند جمهور الفقهاء يعادل رطل وثلث بالعراقي اي ما يعادل ٥١٠ غرام.

اما الصاع فهو مكيال لأهل المدينة يسع اربعة أمداد، وهو عند الحنفية يعادل ٣٫٢٥ كيلو غرام، وعند الجمهور يعادل ٢٫٠٤ كيلو غرام. (٧)

ثالثاً -الموازين:

في اللغة جمع ميزان، وهو الآلة التي توزن بها الاشياء (٨) وهذا ما يُصطلح عليه

وهو تقدير تعادل الأشياء، وضبط مقادير ثقلها، فالوزن حقيقته تعادل الأجسام في الثقل

وقد تنوعت الاوزان، واختلفت مقاديرها، ففيها الصغيرة، وتستعمل في وزن الاشياء الثمينة، وهناك الاوزان المتوسطة، والاوزان الكبيرة.

وهناك فرق بين الكيل والوزن فالكيل للحجم، والوزن للثقل قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ .(٩)

ويتبين من الآية انهما متغايران، اذ العطف يقتضي المغايرة، والاوزان لها مكانة عليا في معاملات الناس، اذ تتعلق بها بعض الاحكام الفقهية، التي تسير بها الحياة، وآلات الاوزان هي التي تقدر بها مقادير الموزونات، ويضبط بها ثقلها، ويبدو ان مادتها الاولى كانت من الحجارة بدليل ما كشفت عنها، الاثار القديمة، ويحتفظ متحف اللوفر بباريس بعدد منها عليها كتابات هيروغليفية، واستُعيض عن الحجارة، بالنحاس، والبرونز، وكذلك البلور. (١٠)

واصناف الموازين كثيرة وأهمها:

الدرهم والدينار، والاوقية والقيراط، والقنطار والرطل، وقد جاء ذكر بعضها في القران الكريم كقوله تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}. (١١)

ومقدار الدرهم عند الحنفية ٣٫١٢٥ غرام وعند الجمهور ٢٫٩٧٥ غرام، وكذلك الدينار وهو المثقال من الذهب ومقداره ٤٫٢٥ غرام.

ويعد الدرهم اساس نظام الاوزان الاسلامية عامة، وكان من الفضة واصله يوناني وفارسي، واما المثقال، فمن الذهب واصله رومي بيزنطي، وقد تعامل بها الناس عبر العصور المتعددة في مختلف الأماكن، والبلدان. (١٢)

ويلحق بالمكاييل والموازين، المقاييس المستخدمة في الحياة العامة اليومية، وهي عملية تحديد البعد المراد قياسه، بوحدة قياس معلومة، وقد استعمل الانسان هذه القياسات منذ فجر التاريخ، لتحديد اشياء يستعملها خلال حياته اليومية، وتنظيمها اجتماعياً، واقتصادياً، وقد كان المصريون من اقدم الحضارات الإنسانية، التي استعملت قياسات الابعاد بالدقة، التي سمحت ببناء الاهرامات، كما استعملت مكاييل دقيقة في المعاملات التجارية، وقد اخذت المقاييس

دوراً مهماً جداً في الحياة البشرية، وتطورها الصناعي، والتكنلوجي، والاقتصادي، في العصر الحديث .

وما ذلك الا نتاج الاستعمال الصحيح لمبادئ القياسات، اما اليوم فقد ارتبطت المقاييس بأجهزة مختلفة، لا يستطيع الانسان العمل بدونها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- الساعة التي نستخدمها في القياس ومعرفة الوقت.

ب- المؤشرات والعدادات في السيارات والاجهزة والمنظومات، لقياس السرعة، والحرارة، والوقود، وغيرها.

ج- عدادات الكهرباء والماء في الابنية والبيوت، ومعرفة قياس الاستهلاك.

د- المساطر والمربعات والمنقلة والزوايا والاشكال الهندسية، لقياس الاطوال والمنحنيات في العلوم، والتعليم، والتدريب، والمهن.

وكل هذا ادى الى تنظيم مؤسسات ووحدات للقياس في الدول، مثل اجهزة التقييس، والسيطرة، والجودة، ونحوها (١٣)،وقد تنوعت القياسات عبر الزمن، فهناك المقاييس البدائية، مثل الشبر، والذراع، والقدم، حيث استخدم الانسان اعضاءه وجسده، في قياس الاشياء المحيطة به، ثم اتُفق على ادوات قياس تقريبية مثل: الشريط، والمتر، وهناك اجهزة قياس الكترونية دقيقة مثل المايكرومتر، وقد تعلقت بالمقاييس والاطوال مسائل عند الفقهاء، فيما يخص ضابط السفر الطويل، والسفر القصير، وتقدير المسافة المبيحة لقصر الصلاة، واحكام اخرى كان للقياس دور فيها.

المطلب الثاني: نبذة تاريخية عن المكاييل والموازين ونحوها.

يعود تاريخ أقدم انظمة اوزان القياس الى الالفية الثالثة قبل الميلاد، وحتى أقدم الحضارات، التي كانت بحاجة الى ادوات الكيل، والقياس، والوزن، لأغراض الزراعة والتجارة، والبناء، والاحجام، ومع تزايد الاهمية للتجارة بين المجتمعات والشعوب، اصبحت الاوزان، والمكاييل، والمقاييس بالغة الأهمية، وتطورت مع الزمن، واصبحت أكثر دقة، فهي لها تاريخ عريق ارتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود الانسان، وقد اثبتت بعض الدراسات أن المصريين كانوا اسبق من غيرهم في معرفة الموازين، وكانت لهم اوزان واقيسة يوزنون بها مكيلاتهم، وكذلك البابليون كانت لهم مقاييس ومكاييل اعتمدوها في حياتهم (١٤)، وقد عرف العرب قبل الاسلام المكاييل والاوزان، لتنظيم المعاملات التجارية، وذلك بسبب صلاتهم التجارية مع من جاورهم من الفرس والروم، وعندما جاء الاسلام عُني بتنظيم الجانب الاقتصادي، ومن ذلك المكاييل والموازين، تحقيقاً

للعدالة في المعاملات بين الافراد.

لقد اكتسبت تلك الموازين اهمية شرعية بالغة، لدخولها في احكام التشريع، ولايجوز لاحد تعطيلها لان الشريعة أمرت بها، فأصبح من الضروري على المسلم، ان يتصرف على مقدار الاوزان ليتمكن من اداء الواجبات الشرعية بصورة صحيحة، بعد معرفة مقاديرها كانصبة الزكاة، وزكاة الفطر، والفدية، والكفارات، والديات، والنكاح، وماء الطهارة، وغير ذلك من العقود والمعاملات قدرتها الشريعة حسب الاوزان المعمول بها في عصر النبوة وما بعده.

المطلب الثالث: المكاييل والموازين في المنظور الشرعي.

اشارت الكثير من الآيات في القران الى الموازين ففي سورة يوسف قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ* فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ}. (١٥)

وذُكر حمل البعير في قوله تعالى : { وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ}، (١٦)وحمل البعير هو الوسق، وهو يساوي ستون صاعاً، وكذلك ذُكرت السقاية في قوله تعالى :{فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ }، (١٧) والسقاية هو مكيال يُشرب فيه، وجاء ذكر الصُواع في قوله تعالى :{ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ }. (١٨) والصُواع هو الاناء الذي يشرب فيه الملك ويصنع من الفضة. (١٩)

وقد امر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان قال الله تعالى : { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (٢٠) ، وجاء تحذير الله تعالى وتشديد العقوبة في الاخرة لمن يطفف في الميزان قال الله تعالى:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ *ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ *وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ *أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ *لِيَوْمٍ عَظِيم *يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }(٢١)، وأن ظاهرة التطفيف من القضايا الاجتماعية المهمة، التي تسبب اضراراً سلبية، ومفاسد خُلقية اذا انتشرت، فهي تنّقص وتقلل اشياء الناس، وتبخسهم حقوقهم في مكاييلهم او في موازينهم وفي هذا ظلمٌ لهم (٢٢).

وقد اهلك الله تعالى قوم نبيه شعيب عليه (الصلاة والسلام) حين كانوا مع كفرهم يبخسون الناس في الميزان، قال الله تعالى : {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } (٢٣)، وقوله تعالى في اهلاكهم :

{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (٢٤).

وفي السنة النبوية ذُكرت المكاييل والاوزان وتعددت، فعن انس رضي الله عنه قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضأ بالمُدّ) (٢٥)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :(فرض زكاة الفطر صاعاً من تمر او صاعاً من شعير على كل حرٍ او عبدٍ ذكر او انثى من المسلمين) (٢٦)، وجاء ذكر الوسق، وهو وحدة قياس شرعية، تعدل عند اهل الحجاز ستون صاعاً، وقد مرَّ ذكره عند ذكر حمل البعير، فعن ابي سعيد الخدري (رضي الله عنه) مرفوعاً الى النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ..)(٢٧).

ومقدار الوسق عند الحنفية ٦٠X٣٫٢٥ =١٩٥ كيلو غرام، وعند الجمهور ٦٠X٢٫٠٤ =١٢٢٫٤كيلو غرام

وهناك اصناف كثيرة من المكاييل والموازين، يمكن اجمالها استخدمت في العهد النبوي المبارك، ومابعده في حضارتنا الاسلامية مثل النقير، والفتيل، والفلس، والمن، والاردب، والقفيز، والجريب، ونحوها (٢٨).

المبحث الثاني
أثر الموازين في ضبط المعاملات

تمهيد:

لابد من بناء اقتصاد تطبيقي سليم، في مجتمعاتنا الاسلامية، وفي اسواقنا ومتاجرنا، وان نوفي وان نعطي الحق في الكيل والميزان، وان لا نتلاعب في موازيننا ومكاييلنا، حتى تنبني قواعد اساسية، في حياتنا اليومية كي تستقيم المعاملات بين الناس، وهذا المبحث يتضمن حاجة الناس لضبط الموازين، واضرار التلاعب فيها على الفرد والمجتمع.

المطلب الاول: حاجة المجتمع الى ضبط الاوزان.

لقد جاءت دعوة الانبياء بالتوحيد، وعبادة الله تعالى وحده، واقترنت بضبط السلوك العام للمجتمع، اذ لا فائدة من العبادة والتوحيد، بلا اخلاق وسلوك منضبط، وهكذا كان منهج سيدنا شعيب عليه السلام في دعوته لقومه، فقد كان اهل مدين قوم شعيب ينقصون المكيال والميزان ويطففون ويخسرون، ولا يعطون الناس حقهم وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد، كما تمس المروءة الضمير، وكانوا يعتبرون ذلك نوعاً من انواع المهارة في البيع والشراء، ودهاء في الاخذ والعطاء، فجاءهم نبيهم يبين لهم بان ذلك سرقة وظلم يصنع جواً من مشاعر الالم، ويسبب انهيار المودة بين الناس وهو افسادٌ للعقول، والقلوب، والسلوك، قال تعالى: {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٢٩).

ومن خلال قصة نبي الله شعيب (عليه السلام)، نجد أن ضبط المكيال والميزان، له دورٌ كبير في الحياة الاقتصادية، وفي شريعتنا الاسلامية نستلهم من شرع من قبلنا شرعٌ لنا، ويمكن الوقوف على أثر ذلك في ضبط المعاملات بين الناس عندما نرى، أن سلطة الدولة ملتزمة في التشريع الاسلامي، بالحماية والاشراف، والسيطرة على النظم والقوانين، التي تحمي المستهلك في مجال المكاييل، والموازين، ومعاقبة كل من يخل، او يغش، او يبخس، في البيع والشراء والسلعة، وكذلك مراقبة الأسواق، والتشديد على عدم التلاعب بالاوزان، والمعايير التي ترسمها الدولة للمواطن .

فقد كان يوسف (عليه السلام) وهو النبي، والوزير، والمسوؤل الأول، الذي بيده السلطة التنفيذية للدولة، في تحديد الاوزان والمكيلات، وتوزيعها حسب خطة وضعها لعبور محنة القحط والسنين العجاف التي اصابت مصر، قال تعالى: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}(٣٠)،فمن خلال سلطته أحكَم سيدنا يوسف (عليه السلام) المكاييل والموازين وضبطها، قال تعالى: {وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ}(٣١)، ونتيجة لتلك الخطة اليوسفية عُرف نظام الموازين والمكاييل الذي استعمل في ذلك العصر، وفي تاريخنا وحضارتنا الاسلامية تبرز احدى الوظائف المهمة، التي كانت تقوم بدور الضابط لهذه الموازين، والمراقب مخافة التلاعب بها، وهي وظيفة (الحِسبة): وهي مشارفة السوق، والنظر في مكاييله وموازينه، ومنع الغش والتدليس، فيما يباع ويُشترى، من مأكولٍ، ومصنوع، ورفع الضرر عن الطريق، بدفع الحرج عن السابلة من الغادين، والرائحين، وتنظيف الشوارع، والحارات، والازقة، الى نحو ذلك من الوظائف، التي تقوم بها المجالس البلدية، ومفتشوا الصحة، ورجال الشرطة، ومراقبوا الادارة العامة في العصر الحديث (٣٢).

ونبين هنا الاضرار الناجمة عن التلاعب بالمكاييل والموازين وعدم ضبطها كونها تسبب ضرراً على الافراد وعلى المجتمع، فعلى الافراد فإنها تعوّد الانسان المتلاعب على الكسب الخبيث والحرام، فعن ابن عباس قال : لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى : (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك، قال الفراء : فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا(٣٣)، والغشُّ ليس من صفات المسلم، ولذا نفى عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الانتساب إلى المسلمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): مرَّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال:»ما هذا يا صاحب الطعام ؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشنا فليس منا») (٣٤)،والتلاعب بالكيل والميزان توقع صاحبها بالذنب الكبير الذي لايغفر الا بالتوبة والاقلاع.

وأما الاضرار التي تقع على المجتمع، فتفشي هذه الظاهرة يسبب انتقال عدوى التلاعب بين افراد المجتمع برمته، وهو ما ينذر بالعقوبة الإلهية للمجتمع، وأيضاً تستجلب هذه الظاهرة القحط وقلة المؤونة وشحة الخيرات وفقدان الحكم الرشيد، ففي الحديث عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال أقبل علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: « يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن»، وذكر منها: «ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان «(٣٥)، فتنهب الثروات، وتحكم

المصالح ،وتتفشى الانانية، وتُساء الاخلاق، وتذهب مبادئ العدل والتكافل، وتضيع الامانة في المجتمع، ويتفشى مرض الانانية، والتلاعب بالموازين يصبح وسيلة لسلب أموال الناس، مما يسبب فقدان الامان الاجتماعي، لان المسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع تنتهي، وتنتهي بذلك الصلات المجتمعية.

المطلب الثاني: مقاصد الشريعة في ضبط المكاييل والموازين

تهدف إلى تحقيق العدل والإنصاف في المعاملات التجارية، وحماية حقوق المتعاملين، وضمان استقرار الأسواق، وتهدف إلى تحقيق التوازن في المعاملات المالية. لذا يمكن اجمال أهم مقاصد الشريعة في ضبط المكيال والميزان:

أ- منع الغش في المكيال والميزان، وضمان حصول كل طرف على حقه كاملاً، مما يعزز الثقة بين الناس ويحقق العدالة في المعاملات .

ب-حماية حقوق البائع والمشتري على حد سواء، ومنع استغلال أحدهما للآخر، مما يحقق التوازن في المعاملات.

ج-ضبط المكيال والميزان يمنع الفوضى في الأسواق، ويحقق استقرارًا في الأسعار، ويمنع تلاعب المتلاعبين بالناس.

د-المحافظة على الأموال من الضياع والتلف، ومنع أكل أموال الناس بالباطل، مما يحقق مقاصد الشريعة في حفظ المال.

ت-ضبط المكيال والميزان جزء من الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات المالية، وتطبيق هذه الأحكام يحقق مقاصد الشريعة في تنظيم حياة الناس.

كيف تحقق الشريعة مقاصدها في ضبط المكيال؟

الأمر بالوفاء بالمكيال والميزان:

حثت الشريعة على إعطاء كل ذي حق حقه، والوفاء بالعهود والمواثيق، ومن ذلك الوفاء في المكيال والميزان.

النهي عن الغش والتدليس:

حرمت الشريعة الغش والتدليس في كل المعاملات، ومن ذلك الغش في المكيال والميزان، لما يترتب عليه من أضرار.

ث-التوعية بأهمية العدل في الميزان:

حثت الشريعة على العدل في المعاملات، وبيّنت أهمية الميزان العادل في تحقيق ذلك.

ح-العقوبات على الغش:

شرعت الشريعة عقوبات على من يمارس الغش في الميزان، وذلك لردع المخالفين.

خ-التأكيد على أهمية الرقابة:

حثت الشريعة على الرقابة على الأسواق، والتأكد من التزام التجار بالمكيال والميزان الصحيحين.

التركيز على تحقيق المصلحة العامة:

جعلت الشريعة المصلحة العامة هي الأساس في الأحكام، ومن ذلك أحكام المكيال والميزان، حيث إن تحقيق العدل في الميزان يحقق المصلحة العامة للمجتمع.

النتائج والتوصيات

توصل الباحثان الى النتائج الاتية :

١- اهمية ضبط المكاييل والموازين والمقاييس في حياة الناس لتحقيق العدالة، لان الاخلال بها ظلم وخيانة .

٢- تأكيد القران الكريم، والسنة النبوية المطهرة، على الايفاء بالمكاييل والاوزان، وقد دعت الرسالات السماوية، على لسان الانبياء بعدم بخس الناس، واكل حقوقهم بانقاص الميزان والمكيال .

٣-حذر الله تعالى الامم بالعقوبة لمن اخل بالميزان والمكيال وطفف، وما قصة نبي الله شعيب عليه السلام الا واحدة من التحذيرات .

٤- تعامل العرب قبل الاسلام بالمكاييل وحددوها ولما جاء الاسلام تم ضبط المكاييل والاوزان من قبل الخلفاء والفقهاء لمراعاة مصالح العباد.

٥- الاخلال بالمكاييل والموازيين يسبب اضراراً اجتماعية واقتصادية وسياسية .

٦- تلحق بالمكاييل والموازيين كافة المقاييس والاطوال والاشكال الهندسية واجهزة القياس والكهرباء والماء والوقود وغيرها .

٧- تكون الدولة ملزمة من خلال سلطتها بمراقبة الاسواق والتشديد بضبط المكاييل والموازين وسن قوانين رادعة لحماية المواطنين من المتلاعبين بالاوزان .

التوصيات: ويوصي الباحثان بعد اتمام البحث بما يلي:

١- ان تكون هناك هيئات رقابية وادارية بتثقيف المجتمع والافراد بحرمة الاخلال بالمكاييل والموازين والمقاييس كونها تسبب اضراراً بالغة بالمجتمع.

٢- تقوم الدولة من خلال اجهزتها ومؤسساتها بتوجيه المواطنين وتحمل مسؤلياتهم بتبني القيم الاسلامية والاخلاقية بعدم الاخلال بالمكاييل والاوزان، والاستعانة بدور الاعلام، والمساجد والمنصات الالكترونية، والمؤتمرات، والندوات، والتعليم بتوعية التجار والباعة، والمواطنين بالإيفاء بالأوزان، وعدم التطفيف والتلاعب بمقاديرها.

هوامش البحث

١- سورة النمل ٩٠-٩١

٢-سورة الشعراء ١٨١-١٨٢-١٨٣

٣- العين .الخليل بن احمد الفراهيدي ت١٧٠ ه تحقيق : مهدي المخزومي ،ط٢ مؤسسة الهجرة ١٤١٠ ،ج٥ ص٤٠٦

٤- موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة ،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ،اعداد عويسان التميمي البصري ،ج١ ص٦٢١

٥-بحث بعنوان (المكاييل والموازين في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين) د.عبدالله الحاج ،والاستاذ عبدالرزاق خميس حمال ،مجلة بحوث جامعة ادلب ، العدد ٢ لعام ٢٠١٩ ص ٤٥- ٤٨

٦- الاموال ،لابي عبيد القاسم بن سلام ،دراسة وتدقيق د.محمد عمارة ،ط١ ،دار الشروق ،١٤٠٩ه -١٩٨٩ م ،ص٦١٥

٧- المكاييل والموازين الشرعية د.علي جمعة محمد ط٢ ،القاهرة ، دار القدس ،ص ٣٢-٣٣

٨- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ،تحقيق :مجموعة من المحققين ،دار الهداية ،د.ت ،ج٣٥ ،ص ٢٥٢

٩- سورة الاسراء ٣٥

١٠- الايضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والاوزان والنقود الشرعية ،اعداد محمد صبحي الحلاق ط١ ،١٤٢٨ ه -٢٠٠٧م ،مكتبة الجيل الجديد ،صنعاء ص١٨

١١- سورة يوسف ٢٠

١٢-المكاييل والموازين د.علي جمعة ص ٩ وما بعدها .

١٣- القياسات وادوات القياس ،منشور مصلحة الكفاية الانتاجية والتدريب المهني ص ٤-٦

١٤- الفاظ المقادير العربية دراسة في البنية والدلالة ،اعداد شيرين ثابت ،وحسين عبد الجواد ،د.سعيد شواهنة ،اطروحة دكتوراه ،جامعة النجاح الوطنية ص ٤-٦

١٥- سورة يوسف ٥٩-٦٠

١٦- سورة يوسف ٦٥

١٧-سورة يوسف ٧٠

١٨- سورة يوسف ٧٢

١٩-الايضاحات العصرية دمحمد صبحي ص٧-٨

٢٠- سورة الاسراء ٣٥

٢١- سورة المطففين ١-٦

٢٢- ظاهرة التطفيف في الكيل والوزن وعلاجها في القران الكريم د.عبدالله عثمان المنصوري ،د.عبده محمد يوسف ،مقال في جريدة رسالة العلماء في ٢٩ حزيران ٢٠١٦

٢٣-سورة هود ٨٥

٢٤-سورة الشعراء ١٨٩

٢٥- اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الحديث ،القاهرة ،١٤٢٤ ه -٢٠٠٣م ص ٦٧٠ رقم الحديث ١٨٦

٢٦- المصدر السابق ص ١٧١ رقم الحديث ٥٧٠

٢٧-المصدر السابق ص ١٧٠ رقم الحديث ٥٦٧

٢٨- المكاييل والموازين الشرعية ،د.علي جمعة الصفحات ٢٨-٢٩ وصفحة ٤١

٢٩- سورة الاعراف ٨٥

٣٠- سورة يوسف ٥٥

٣١-سورة يوسف ٥٩

٣٢- الحِسبة في الاسلام ،الشيخ احمد مصطفى المراغي ،ط١ ، البابي الحلبي ،ص ٥

٣٣- الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢ ، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ج١٩ ، ص ٢٥٠ .

٣٤- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ] مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ج١ ، ص٩٩ .

٣٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ج٣ ، ص٢٨ .

المصادر

القرآن الكريم

١ - العين .الخليل بن احمد الفراهيدي ت١٧٠ ه تحقيق : مهدي المخزومي ،ط٢ مؤسسة الهجرة ١٤١٠ .

٢ - موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة ،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ،اعداد عويسان التميمي البصري.

٣ - بحث بعنوان (المكاييل والموازين في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين) د.عبدالله الحاج ،والاستاذ عبدالرزاق خميس حمال ،مجلة بحوث جامعة ادلب ، العدد ٢ لعام ٢٠١٩ .

٤ - - الاموال ،لابي عبيد القاسم بن سلام ،دراسة وتدقيق د.محمد عمارة ،ط١ ،دار الشروق ،١٤٠٩ه -١٩٨٩ م .

٥ - المكاييل والموازين الشرعية د.علي جمعة محمد ط٢ ،القاهرة ، دار القدس .

٦ - تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ،تحقيق :مجموعة من المحققين ،دار الهداية ،د.

٧ - الايضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والاوزان والنقود الشرعية ،اعداد محمد صبحي الحلاق ط١ ،١٤٢٨ ه -٢٠٠٧م ،مكتبة الجيل الجديد ،صنعاء .

٨ - القياسات وادوات القياس ،منشور مصلحة الكفاية الانتاجية والتدريب المهني .

٩- الفاظ المقادير العربية دراسة في البنية والدلالة ،اعداد شيرين ثابت ،وحسين عبد الجواد ،د.سعيد شواهنة ،اطروحة دكتوراه ،جامعة النجاح الوطنية .

١٠ - ظاهرة التطفيف في الكيل والوزن وعلاجها في القران الكريم د.عبدالله عثمان المنصوري ،د.عبده محمد يوسف ،مقال في جريدة رسالة العلماء في ٢٩ حزيران ٢٠١٦ .

١١ - اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الحديث ، القاهرة ،١٤٢٤ ه -٢٠٠٣م .

١٢ - الحِسبة في الاسلام ،الشيخ احمد مصطفى المراغي ،ط١ .

١٣ - - الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢ ، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

١٤ - - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ] مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة .

١٥ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ .